عن التعريب وقضاياه

لقاء مع الدكتور أحمد سعيدان عضو اللجنة الاردنية ومندوب الأردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

أجرى الحديث : محمد محمد الخطابي

الدكتور احمد سعيدان عضو اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، واستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الاردنية ، ومندوب المكتب الدائم للتعريب في الاردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتي اعطت نتاجا طيبا منذ تخرجه من انجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تآليف ، كما حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، ولقد قضى نحو عشرين عاما في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة اعارته للمكتب الدائم لتنسيق التعريب حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم الرياضيات الذي كان قد اعده المكتب اجريت مع سيادته الحديث التالي :

— السيد الدكتور سعيدان بصفتكم عضوا في اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر اربعة عشر عضوا من الاردنيين ذوي الانتاج الفكري المتصل في حقول الآداب والعلوم والتقنيات واهم ما تضطلع به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 ـ الحصول على نسخ من المخطوطات العربية القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقا علميا ، والعمل على نشرها .

2 ـ ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات الغربية وترجمة الجيد من الفكر العربي الى بعض اللغات الغربية .

3 ـ ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية الى العربية .

4 ـ ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية .

وتبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور بغية ان تصبح عن قريب مجمعا لغويا علميا يساهم مع المجامع العربية الإخرى في خدمة اللغة والفكر » .

— هل لي ان اسالكم عن رايكم في نشاط المكتب الدائم للتعريب ودوره في خدمة قضايا التعريب على ضوء ما قمتم به طوال المدة التي قضيتموها فيه ؟

« ان ضخامة الانتاج القيم الذي صدر عن هذا المكتب رغم امكانياته المحدودة دليل على ان المكتب يؤمن برسالته محددة وقد عقد العزم على تاديتها ، اما عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق التعريب في الوطن العربي فيكفي ان استشهد بما حدث في السنتين الاخيرتين في الرياضيات .

لقد عمدت اليونيسكو الى تطوير الرياضيات في مرحلة الدراسة الثانوية في البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدارس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم اعدت كتابا في الرياضيات الحديثة بثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس في المرحلة الثانوية في العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة في المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتح لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها اكثر ملاءمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونيسكو ترجمة عراقية واخرى كويتية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالاضافة الى أن سوريا رات ان تبدأ الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هنالك ترجمات أخرى لكتاب اليونسكو لا اعرفها ، وهذه الترجمات تتفق في كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف في كثير منها ايضا ، فما سميناه نحن « المجموعة » سمي في مصر « فئة » وما سمته مصر والاردن « بالمجال » سمي في سوريا « المنطلق » ، بل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت في هذه التراجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينها في نطاق الرياضيات ؟

— هل لي أن اعرف من سيادتكم مدى صدى المكتب في المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتاح له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله في سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضاياها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنميق العبارات ، ولكن لا اكتمك انني طوال عملي في السودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدات اسمع عنه واقرا عنه عندما عدت الى الاردن والحقت باللجنة الاردنية للتعريب . وفي رأيي انه لا يعيبكم من قريب ولا من بعيد ان القلائل هم الذين يعرفون عنكم ، فانتم تعملون في صمت ولكنه صمت فعال أبلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الآن فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة الفعالة ذات الشأن في خدمة اللغة العربية والفكر العربي » .

— علمت من خلال الكتاب الذي اصدرته لجنتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على انشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتين ؟

« انبثقت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب في الرباط ، فمؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعريب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم في الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعريب منذ انشائها ، كما اوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدابي من قبل لجنة التعريب الاردنية للعمل في المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لثمرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم في الرباط ولجنتنا في عمان » .

— تعلمون انه في نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن اهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعريب عامة ؟

« في تقديري ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القطاف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فانتم تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة في الوطن العربي المترامي الاطراف ، فان لم تجدوا مقابلا اقترحتم من عندكم وحسب اجتهادكم وهذا كله ستضعونه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 املا في احد امرين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها او بعضها . وهذه خطوة في سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا — انا وانت — نسمي هذه سيجارة فاننا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها انا دخينة ! ان لم يبخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات في الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان في ذلك خير كبير .

أما الحديث عن قضية التعريب عامة فحديث طويل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل لشأنها ، وفي تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولية لا يمكن ان يقف من التعريب موقف المعارض له أو المستهتر به .

ان العلم ماض في سبيله سواء عربنا أم لم نعرب، وطلاب العلم في مستوى الباحثين ماضون ايضا في التعلم والبحث ، ولأن العلم الآن يصنع في البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسنى لهم ما يبتغون من تعلم وبحث ، انني ـ شخصيا ـ من الداعين الى فتح كل النوافذ للفكر العالمي وأتمنى لو علمنا ابناءنا أكثر من لغة أجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم في المستقبل على ادخال جميع ضروب الفكر الجيد الى العالم العربي .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع في البلاد المتقدمة ـ كما اسلفنا ـ فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداهة بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابنائنا من معرفتها. وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعريب ، ولكن المرء يبدأ يستشعر الحاجة الى التعريب في مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التي تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويغدو من لوازم الحياة اليومية كالاسبرو مثلا والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والأسبرو اسم لدواء وهو اسم لا يتغير بتغير اللغات فلا بد من أن يستعمل بالعربية كما يستعمل بغير العربية ، ولفظة اسبرو لفظة حقيقة لا يمجها ذوق العربي العادي . وليست بخفتها لفظة تلفزيون ومن ثم لا بد من تحوير طفيف في هذه اللفظة يجعلها أقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التي فيها من عربية الجرس ما يمكننا أن نشتق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقاقات .

ان المصطلحات المستحدثة التي تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لابد من النظر في اخضاعها للقياس العربي فان لم تتكفل هيئة بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان اي هيئة تتصدى لتعريب المصطلحات ينبغي أن تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستسيغ ما تقول وقد لا يستسيغ فيرفضه .

والمجال الثاني والاهم الذي يلزم فيه التعريب هو حقل التعليم الذي يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذي يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتي هذا التعليم ثماره ينبغي أن يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلما في المدرسة واميا في الشارع ، وليس في هذا مبالغة ولكنه امر لمسته شخصيا من خلال ممارستي الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاضة فيه » .